الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

كليـــة الآداب و اللـغـات
Faculté des Letter et des Langues

تخصص نقد معاصر

مذكرة لنيل شهادة الليسانس LMD .

تحــت عنـــوان

الجاحظ ناقدا :
(ثنائيـــة اللفـــظ و المعنـــى)

من إعداد الطالبتين:

- منصوري الزهرة
- مسلم نرجـــس

إشـــراف:

أ/ لعريبي عـــواج

السنة الجامعية 2013/2012

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إهـــداء

«بسـم الله الرحمـن الرحيـم»

أهدي عملي وثمرة جهدي إلى :

من كانت قدوتي في الحياة , إلى من علمتني تحمل الصعاب والصبر على ما فات , و الاجتهاد لنيل المراد , إلى من فرحت لفرحتي وحزنت لحزني وسهرت على راحتي .

{ إلى حبيبتي أمي }

إليك أنت أيها الغالي العزيز , تاج رأسي ورفيق دربي وشريكي في النجاح .

{ إليك أنت أبي }

إلى أختي العزيزة« سهام »واخويا الغاليان « موسى و أسامة » .

إلى بركة المنزل ومنبع الحنان مصدر النصائح و الوصايا.

{ جدتي الغالية }

حفظها الله ورعاها.

إلى كل من يعرفني ويتمنى لي النجاح فا تمنى له مثله

خاصة شريكتي

في هذا العمل « نرجس »إلى كل من مريومة و حنان , أسماء ودلال وإيمان...

إلى أستاذي المشرف على هذا العمل

.أ.عواج

الـــزهرة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

اهدي عملي هذا و ثمرة جهدي إلى:

من قال فيهما الله عز وجل (و لا تقل للوالدين أف و لا تنهرهما)

إلى التي الجنة تحت أقدامها ، إلى من سهرت من اجل راحتي ، و رعتني حق الرعاية ، و ساندتني في مشواري الدراسي هذا (أمي الغالية).

إلى أبي العزيز الذي ألهمه الله و ساعده ليربيني أحسن تربية ، و لم يبخل عليا بشيء فكان دوما سندي و مصدر تشجيعي للمواصلة و المثابرة و الوصول إلى اليوم .

إلى أخواتي العزيزات : عربية و أسماء و أزواجهم رشيد و حسين و إلى كتكوتة العائلة أمال.

كما لا أنساك أنت أختي زينب متمنية من الله أن يوصلك إلى ما وصلنا إليه نحن اليوم .

و إلى مصابيح البيت أختي و ليد و خطيبته نادية و بلال العزيز و أخر العنقود عبد النور .

إليك أنت توأم روحي الغالية على قلبي أختي حنان و أتمنى لك النجاح في الحياة العملية و الشخصية و أخيرا اهدي عملي هذا إلى شريكتي في هذا الانجاز زهرة و كل من صديقاتي مريم و فتيحة و إلى كل من يعرفني .

إلى الأستاذ المشرف : عـــواج

نـــرجس

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فهرس المحتويات

مقدمـــة : ..... أ- ب

مقدمة المدخل ..... ج

المدخل: قضايا النقد عند النقاد العباسيين

- اللفظ و المعنى عند الجزجاني ..... 1 - 4
- اللفظ و المعنى عند ابن قتيبة ..... 5 - 7

الفصل الأول : ثنائية اللفظ و المعنى عند الجاحظ

- تطور العلاقة بين اللفظ و المعنى ..... 8 - 10
- مفهوم المعنى و اللفظ عند الجاحظ 11
- ثانية اللفظ و المعنى عند الجاحظ ..... 12 - 22
- ✓ **الخاتمـــة** 23-24
- ✓ **قائمة المصـــادر و المراجـع** 25-26

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

مقدمة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

مقدمـــــــــــة :

اهتمت الدراسات اللغوية منذ القدم بفكرة « التواصل الإنساني »إذا كان أساس قيامها تلك الأداة التي تضاربت حولها الآراء في خضم البحث عن نشأتها، إلا و هي اللغة فاللغة استطاع الإنسان أن يعبر عن إغراضه ومقاصده ، لإيصال ما يريد نقله إلى غيره ، فهي كما أشار ابن جني : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضه » ومن القضايا التي شغلت الفكر اللغوي قديما , ولا زالت محل اهتمام الدارسين حديثا ، قضية اللفظ والمعني حيث إن دراسة اللغة في ذاتها تعد في جانب كبير منها دراسة للعلاقة القائمة بينهما .

ونظرا لأهمية هذه المسالة, وارتباطها بكثير من العلوم ومجلات المعرفة الإنسانية ، فان دراستها لم تبقى حبيسة الدراسات العربية فحسب ، بل تعددت رحاب التراث الغربي لتشمل باقي أقطار العالم ، حيث ترعرعت قضية « اللفظ والمعني» في أحضان مختلف العلوم ولعل أهم المشكل صادفته الدراسات العربية هو أي جانبين يعود إليه الفضل في جودة الكلام ، اللفظ أم المعني ؟ وانبثقت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات منها ما ولد في العصر الأدبي العباسي باعتباره أولى عصور النقد العربي . فكيف تطرق هؤلاء النقاد من بينهم :

« عبد القاهر الجرجاني وابن قتيبة » لقضية « اللفظ والمعني »؟. أين يكمن اثر الجاحظ في بلورة هذه القضية « اللفظ والمعني »؟.

إذ عمدنا للإجابة عن هذه التساؤلات إلى رسم الخطوط العريضة لهذا البحث الموسم باللفظ والمعني عند الجاحظ ، حيث قمنا بتقسيمه إلى المدخل و الفصل ، ففي المدخل قد سلطنا الضوء على ابرز النقاد العباسيين الذين تناولوا الظاهرة بالدراسة و التحليل وقد اخترنا على سبيل المثال الجرجاني وابن قتيبة ، مقابل ذلك وجهنا مناظرنا صوب دراسات الجاحظ إما فيما يخص المنهج و المتبع هو المنهج الوصفي التحليلي المقارن ، لأنه الأنسب والملائم لمثل هذه الدراسة ، حيث إننا بصدد وصف ظاهرة لغوية تتمثل في« اللفظ والمعني ».

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وعلى الرغم من تنوع بعض المراجع و المصادر إلا أنها كانت شبه عقيمة ما زاد الطين بلة وسبب لنا بعض الصعوبات إلا أن هذا لم يكن حاجزا في مواصلتنا للبحث وانتقاء ما هو أحسن .. فلا يزعم بحثنا بلوغ المراد ، وإنما حسبنا في ذلك المحاولة المخلصة لرصد أهم جوانب إشكالية «اللفظ والمعني » عند النقاد العباسيين وعند الجاحظ خاصة .

وأخيرا يرجى أن يكون بحثنا هذا قد وفق في دراسة هذه القضية ، فان بلغ الغاية فذلك هو الهدف المنشود ، وان لم يبلغ فيكفي إن تمت فيه المحاولة و الاجتهاد لإظهاره علي الصورة التي هو عليها .

فنشكر كل من مد لنا يد العون من كتاب ومجلة ومذكرة سابقة خاصة استلذنا المشرف «أ- عـــــــــــــواج »

قـم للمعلـم وفـه التبجـيل كـاد المعلم أن يكون رسولا .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لا يختلف اثنان على أن اللغة العربية لغة اتصلت بميادين الفكر المختلفة لأنها تتكيف مع مستجدات الأحداث وذلك بقدرتها على تغيير دلالات ألفاظها ، فلقد استطاع الدارسون القدامى أن يضعوا لقضية «اللفظ والمعني » قواعدها كما تصوروها وعيا منهم لما لها من أهمية .

فان ظاهرة «اللفظ والمعني » كثر الحديث عنها إذ نجدها عند اللغويين في النحو والصرف وفي الوضع والمعاجم عند البلاغيين و الأدباء في النقد أو التفسير وفي الفلسفة ولدى المتكلمين «أصحاب الفرق الكلامية » لذا ارتأينا أن ندرس هذه القضية لدى فئة من النقاد العباسيين على رأسهم «عبد القاهر الجرجاني ».

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المدخل

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

1- اللفظ و المعنى عند عبد القهار الجرجاني :

يعتبر اللفظ عند الجرجاني سمة للمعني الذي وضع له إذ يقول : «وليت شعري,هل كانت الألفاظ إلاّ من أجل المعاني ؟ وهل هي إلا خدم لها ومصرفة علي حكمها ، أو ليست هي سمات لها أوضاعا قد وضعت لتدل عليها فكيف يتصور أن في نفس المرء الألفاظ وليس العكس لأنه لو جاز ذلك أن تكون أساسي الأشياء ، قد وضعت أن عرفت الأشياء,وقبل أن كانت وما ادري أن أقول في شيء يجرّ الذاهبين إليه على أشباه هذا من فنون كانت أدرى المحال ورديء الأحوال ويتضح لنا جليا من هذا القول أن معرفة المعاني أمر ضروري ومهم لتعلم اللغة والتصرف فيها ، ذلك أن الكلام كما يقول الجرجاني هو «خبر واستخبار وأمر و نهي و لكل من ذلك لفظ وضع له وجعل دليلا عليه فكل من عرف أوضاع اللغة من اللغات ,عربية كانت أم فارسية وعرف المعنى المعني من كل لفظة ثم ساعده اللسان على النطق بها, وعلى تأدية أجراسها وحروفها فهو بين في تلك اللغة».[1]

فالكلام لا يكون مفيدا طالما لم يكن هناك معنى متواضع عليه عند استعمال الكلمات في تراكيب يمكن للفرد أن يتصرف فيها فالمعنى هو الرابط بين الاسم و المسمي.

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا انه لا غيرة لدي الجرجاني بالدلالة اللفظية وحدها وهي "الدلالة المعجمية ودلالة البنية المورفولوجية على حدث ".[2]

كدلالة الفعل على الحدث ,فليس المقصود في ذاتها (الدلالة اللفظية) لان الهدف هو الكشف عن المعنى المستور والكامن في نفس المتعلم ، لكن باستخدام ألفاظ الذي بها دلالة متفق عليها عند أهل اللغة ، وهي ما يسمى ب(الدلالة اللفظية الوضعية) أي دلالة الألفاظ الموضوعة على مدلولاتها «لان الحكم على اللفظ بعد إطلاقه ليس من حق المتكلم وإنما مردة إلى النظام لغوي ، عام يحكم على اللفظ به ، وليس السامعون بحاجة إلى إشارة المتكلم إلى المعني المقصود من لفظه لان المعني عليه في أذهاننا لعلمنا بالوضع ».[3]

---

(1) عبد القاهر الجرجاني , دلائل الإعجاز.ص 05.

(2) منقور عبد الجليل علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي , دراسة من المنشورات اتحاد الكتب العرب ص132.

(3) احمد سمير معلوف , حوية اللغة بين الحقيقة والمجاز منشورات اتحدتا لكتب العرب ط 1: 1996– ص91 .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فالصيغة الكلامية إنما هي ألفاظ مركبة دالة على معاني سواء كان متفق عليها أو العكس وتبقى اللغة تماما اجتماعيا موجودا في أذهان البشر الناطقين بها.

فاللفظ عند إطلاقه يكون موجها أولا إلى معناه الوضعي قبل أن يخرج عليه، لان دلالة اللفظ « لا تنفك عن الوضع, فهي مستندة إليه وهو الأصل الذي يرتد الكلام إليه وهو المعنى الأول القائم في نفس والمعبر عنه باللفظ الدال عليه. » [1] ، لذلك يقول الجرجاني « وأنت إن أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال وإنما تطالب المعني، وإذا ظفرت بالمعني فاللفظ معك وإزاء ناظرك »[2] ، ويؤكد إن اللفظ خادم للمعنى القائم في النفس فإذا «نظرنا في شان المعاني و الألفاظ وحال السامع , فإذا رأى المعاني تبعا للألفاظ في ترتيبها , فان هذا الذي بيناه يرد الفساد هذا الظن ، وذلك انه لو كان المعاني ، تكون تبعا للألفاظ في ترتيبها لكان محالا أن تتغير المعاني والألفاظ بحالها لم تزل على ترتيبها , فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التعبير من غير أن تتغير الألفاظ وتزول عن أماكنها علما إن الألفاظ هي التابعة و المعاني هي المتبوعة »[3] فالمقصود من الكلام هو الإفهام لذلك نضر الجرجاني إلى المعني على انه الأصل الذي يعبر عنه مما حمله على النظر في دلالة الألفاظ مفردة ومركبة لأنه لا عبرة لديه بالكلمة المعزولة عن سياق فمعناها لا يظهر دون جعلها في تراكيب تبين دلالتها على معني أو على أخر – فليس العرض منها دلالتها على مسمياتها لان «الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها لكن لان يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد » [4] وقد اظهر الجرجاني مما سبق ما يلي:

أولا: وجوب مراعاة دلالات الألفاظ لان المتكلم لا يصدر كلاما دون أن يكون ذا معرفة بالمعاني الوضعية للألفاظ.

ثانيا: أن الهدف من وضع الألفاظ كان لأجل التراكيب الذي يفك الحاجب عن المعني القائم في نفس المتكلم.

---

(1) المرجع نفسه.ص 94 .

(2) عبد القاهر الجرجاني , دلائل الإعجاز , ص94.

(3)عبد القاهر الجرجاني , المصدر السابق , ص 285 .

(4) المصدر نفسه, ص 415 .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وبذلك يكون الجرجاني قد اظهر علاقة اللفظ بالمعني لأنه «فهم عمل النحاة المتقدمين على انه يسعى إلى الكشف عن المعني الموجود في نفس المتكلم بصيغة تركيبة صحيحة فجعل الأصالة لهذا المعني، وأعاد إلى النحو الذي تحول إلى علاقات لفظية صورية عند المتأخرين طبيعة الدلالية وحوله إلى أداة لا تنفصل عن ذات المتكلم الذي يشكل الصورة اللفظية وفق المعنى القائم في نفسه» [1] ، إن الجرجاني لا يرى في الكلمة المنقودة قيمة من قيم التعبير أو سر من أسرار الجمال فاللفظة عنده لا أهمية لها في ذاتها , بل تكمن أهميتها في موقعها داخل الجملة « لان الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة وان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها» [2] , فالألفاظ عند الجرجاني «كلها سواء من حيث هي ألفاظ »[3] لان المتكلم هو الذي يحمل في طيات نفسه إغراضا ومعاني يريد إبلاغها إلى الملتقي والمتكلم عندما يرسل كلامه إلى الملتقي يكون على وعي كامل و شامل باللغة ومعانيها الوضعية ، إن المعني لغة هو «القصد أو المراد »[4] و «اشتقوه أحيانا من الإظهار » [5] فقد أراد من المعني الشيء الذي يفيده اللفظ فهو القصد الذي يبرز من خلال الألفاظ والذي يتبادر إلى الفهم من صيغة الكلام فالمعني هو الفكرة التي يتبين عنها البيت أو القصيدة .

يلاحظ مما سبق ذكره إن الجرجاني أعطى الأسبقية للمعاني في تواجدها في نفس المتكلم و الألفاظ تتبعها في الواقع الكلامي ، وهذا ما يفسر لا نهائية المعاني التي اقرها علماء الدلالة المحدثون مقابل نهاية الألفاظ ، لذلك نجد المتكلم يتجادل إن صح التعبير لسد بعض العجز الدلالي الذي يقع فيه المعجم وبالتالي سد قصور اللغة في نقل كل مايو جد في نفس المتكلم.

---

(1) سمير احمد المعلوف, المرجع السابق ص 78.

(2) عبد القاهر الجرجاني , المرجع السابق ص 38.

(3) عبد القادر حسين , اثر النحاة في البحث البلاغي , دار النهضة , مصر القاهرة ط1 (دت).ص 396.

(4)ابن فارس الصاحبي , في فقه وسنن العرب في كلامها , تحقق مصطفي الشويمي , مؤسسة آبدان.بيروت .لبنان ص312 .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وكخلاصة لما سبق يمكننا القول إن الجرجاني قد توصل إلى إدراك مغزى تنبيه اللغة على مستوى الدلالة كما يمكن اعتباره الباعث الأول للنتائج التي توصلت إليها احدث الدراسات التي باءت بعده ، ومنه ندرك موقفه الحقيقي من اللفظ والمعنى, فهو يعلم أم المعني وان كان الهدف الذي يسعى المتكلم ليوصله إلى السامع ، إلا أن اللفظ الجسر والممر إليه لذلك نجده سوى بينهما فهو يقف موقف المنزلة الوسط لا هو مع اللفظ ولا هو مع المعني ولكنه مع النظم الذي لا يتأتي إلا بهما ولا عزابه في ذلك فاللفظ والمعني روحان لجسد واحد ألا وهو الظاهرة اللغوية وأسس التعبير.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

2- اللفظ و المعنى عند ابن قتيـــبة :

تدل مؤلفات ابن قتيبة على تعدد مناحي اهتمامه , فبعضها يمثل العناية بغريب اللغة وبعضها يتناول النحو, كما انا صنفنا ثالثا منها مستلهم من عصبية ، لأصحاب الحديث ومن عدائه للمعتزلة ، ويمثل الشعر ميدانا رابعا من تلك الميادين التي استأثرت بجهده, وعلى الرغم من تعدد ضروب هذا النشاط فإننا نستطيع أن نستبين من وراء هذا الجهد حوافز وغايات معينة فابن قتيبة يكمل دور الجاحظ في الدفاع عن العرب والرد على الشعوبية ويتخذ هذا الرد صورة مباشرة في مثل « كتاب العرب وعلومها»[1] ويعتبر ابن قتيبة من النقاد الذين أولوا عناية فائقة لقضية اللفظ والمعني ، فهو يرى إن لكل من لفظ والمعني مدلوله الخالص , فمدلول اللفظ عنده يريد به النظم والتأليف المتمثل في اللفظ المفرد والوزن والروي فحسن اللفظ إنما يعني صحة الوزن ، وحسن المعني فهو يعني الفكرة التي تبين عنها البيت , فهو يعني الفكرة التي يتبين عنها البيتين فهو يعلق على بيتين للمرقش عدهما ، الأصمعي من مختاراته . [2]

هل بالديار أن تجيب الصمم لـــو حيـــا ناطقـــا كلـــم .
يأبي الشباب الاقـــــــورين ولا تغبط أخاك أن يقال حكم.

فيعلق ابن قتيبة على هذين البيتين فيقول : « والعجيب عندي من الأصمعي إذا ادخله في متحيزة وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي ولا متحيز اللفظ ولا لطيف المعنى..... [3]، وابرز الفرو قات بين الجاحظ وابن قتيبة مذهب التسوية ولهذه القضية ركنان «اللفظ والمعني » ومميزات «الجودة – الرداءة » ولا باس أن يتجه ابن قتيبة في النحو هذا المنطق – وان كان يكرهه علما – فيجد إن الشعر أربعة ضروب لا تسمح العلاقة المنطقية – في نظرة بأكثر منها:

أ- لفظ جيـــــد ومعني جيد.

ب- لفظ جيد ومعني رديء.

ج- لفظ رديء ومعني جيد.

د- لفظ رديء ومعني رديء.

---

(1) الجاحظ البيان , التبيين .ص 474 .

(2) إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص 104 .

(3) قصى الحسرة , النقد الأدبي عند العرب واليونانية معلمة وإعلامه المؤسسة الحديثة لبنان 2003 ص 331 .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وقد استعملنا لفظتي« الجودة والرداءة » وان كان ابن قتيبة لم يستعملها وإنما استعمل أحيانا:«ضرب حسن لفظه فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعني أو ضرب منه جاد معناه ألفاظه »[1] .لم يستعمل لفظتين حاسمتين في دلالتهما وإنما فعل ذلك عن ابعد الحدة التي ستتشف من قولنا « جيد ورديء » وأثرنا إلزامه بلفظتين لكي لا تضطرب عملية القسمة المنطقية, فالمسألة إذن مسالة صلة بين اللفظ والمعني وعلاقة الجودة في كليهما في المفصلة وهذا يعني إن المعاني نفسها تفاوتت وإنما ليست كما زعم الجاحظ « مطروحة في الطريق » و يستشف من أمثلة ابن قتيبة إن المعني عنده قد يعني الصورة الشعرية مثلما يعني المحكمة ولكن هذه الأمثلة نفسها تشير إلى انه يستمد حكمه من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة في الأكثر.

إن القضية «اللفظ والمعني » لن تتناول العمل الأدبي كله بحيث تتطور إلى ما نسميه «الشكل والمضمون » ، ولا هي استطاعت أن تقترب مما يسمى «الصلة الداخلية» بين هذين ولعلها كانت ذات اثر بعيد في صرف النقد عن تبين وحده الأثر ، الفني في مبناه الكلي ، غير أنها رغم ذلك اسلم من الانحياز السافر إلى جانب اللفظ [2] و إلى جانب معادلة اللفظ و المعنى وقف ابن قتيبة عند قسمة ثنائية في النظرية الشعرية فقد كثر الحديث في عصره عن الطبع والتكلف دون تحديد هذين المصطلحين أن قلة « المصطلح النقدي » لدى ابن قتيبة جعله يستعمل هاتين اللفظتين بمدلولات مختلفة ، فالتكلف حين يكون وصفا للشاعر مختلفة عن التكلف حين يكون وصفا للشاعر مختلفة عن التكلف حين يكون وصفا للشعر[3] ويشرح لنا ابن قتيبة كيف يظهر التكلف في الشعر والشعراء ، خصوصا عندما ينظر فيه العلماء فيقول : " والمتكلم من الشعر وان كان جيدا محكما , فليس به خفاء على ذوي العلم التبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير و شدة العناء ورش الجبين ، وكثرة الضروريات, وحذف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة بالمعاني غني عنه" [4].

---

(1) إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب .ص 108

(2) نفسه.ص 109

(3) نفسه.ص 109

(4) قصى الحسن النقد الادبى عند العرب اليونان معاملة إعلامهن .ص332

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ويذكر ابن قتيبة سمة للتكلف في الشعر – سوى رداءة الصنعة – وتلك السمة «إن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره إلى غير نفقه» وهذا المقياس هام لأنه أول طريق إلى الوحدة الكلية في القصيدة عامة , وفقدان القران بين الأبيات ليس من الصفات شعر المنقحين من ثم يتضح لنا تماما إن لفظة المتكلف إذا اقترنت بالشاعر عنت شيئا متميزا عن معناه حين يوصف بها نوع الشعر ولذلك قال ابن قتيبة في وصف أبيات للجيل :'' وهذا الشعر بين التكلف رديء الصنعة» , وتقابل لفظه «لطبع » ما سماه الجاحظ «العزيزة» , وهذه الثانية ترد عند ابن قتيبة إذا يقول في تعليله عسر قول الشعر :« انه قد ينشا من عارض يعترض على الغريزة » أي يؤثر في الطبع.*

(1) قصى الحسن النقد الأدبي عند العرب اليونان معاملة إعلامهن ص 332 .

*** الطبع : قوة الشاعرية او الطاقة الشعرية وقد تعني أيضا المزاج.**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الفصل الأول

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أولا: تطور العلاقة بين اللفظ والمعنى.

هي قضية نقدية قديمة برزت أول مرة في ملاحظات وردت في صحيفة بشر بن المعتمر(ت210هـ) وفيها يقول ابن المعتمر: ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف ومن حقها أن تصونهما عما يفسدها ويهجنهما [1] ،وفي قوله إشارة واضحة إلى اختلاف الأساليب باختلاف المعاني، وإلى ترابط اللفظ والمعنى، وإن شرف المعاني مقصورة على صوابه ومنفعته ومطابقته لمقتضى الحال إلا أن يكون خاصا بفئة ما أو بعموم الفئات،وقد دفع هذا القول الجاحظ إلى الاهتمام بقضية اللفظ والمعنى حتى أنه لم يترك شيئا يحقق الجودة في القول إلا وتناوله إذ يقول: والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني [2]،وقد أثار ضجة كبيرة في الدرس النقدي،وقدم خلاصة كاملة لعناصر النص الأدبي حتى إن من جاء بعده كان نتأثر بآرائه، أما قدامة بن جعفر(ت337هـ)فرأى أن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر،من غير أن يخطر عليه معنى يروم الكلام فيه إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة [3]،وفيه ملامح التأثر واضحة وخاصة في قوله: المعاني معروضة للشاعر، حتى إذا وصلنا إلى زمن عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)وجدناه قد ثار على هذه القضية وأحل محلها نظرية النظم أو التأليف، إذ يرى أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة المعنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر [4].

---

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص99.

(2) الحيوان، الجاحظ، ص67.

(3) نظرية الشعر عند الجاحظ، د.مريم محمد جاسم المعجمي، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009،2010، ط1، ص128.

(4) نفسه، ص128،129.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وتعود المسألة إلى سابق عهدها عند ابن الأثير (ت 637هـ) الذي يفصل بين اللفظ والمعنى ويجعل الألفاظ خدما للمعاني: فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ودققوا حواشيها وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي الألفاظ فقط، بل هي خدمة منها للمعاني [1].

و هنا عاد الأمر إلى الربط بين الألفاظ و المعاني، فيعود برأيه إلى الوراء، و يبقى الأمر بين تفضيل أحدهما، أما المساومة، أو النظم، فهذا القرطاجني (ت 684هـ) عود بالقضية إلى ما أقره الجرجاني، فآمن بالوحدة العضوية، داعيا إلى الترابط بين الألفاظ و المعاني موسعا ذلك المفهوم، إذا دعا إلى الترابط المبني بالمعنى المسوق إليه و اتصالهما ببعضهما و إلى الربط بينهما.

و جاء ابن خلدون (808هـ) الذي اهتم على نحو مباشر بالفظ الذي يتقن ولا يقع إلا من المبدع، إذ ليس للفظ المفرد المجرد فائدة ان لم يعطي معنى، فإن ذلك لا يقود إلى تقديم المعنى على اللفظ في البناء الفني، فهو يقول " اعلم أن صناعة الكلام نظما و نثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، و إنما تبع لها و هي أصل "[2].

فالبناء النقي عنده ليس ذاته البناء اللفظي الذي نفصح به عن دواخلنا في الكلام العادي، إذا تكون الغاية القصوى منه المعنى، و إنما هو صناعة و إتقان لا يقع إلا للمبدع إذ : " إن اللسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل و الذي في اللسان و النطق إنما هو الألفاظ، و أما المعاني فهي في الضمائر و أيضا فالمعاني موجودة عند كل واحد و في طوع كل فكر منها ما يشاء و يرضى فلا تحتاج إلى تكلف صناعة و تأليف كلام "[3]

---

(1) نظرية الشعر عند الجاحظ ، د- مريم محمد جاسم المجمعي، دار مجد لاوي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2009،2010 : 1 ص 129.

(2) نفسه، ص : 130.

(3) نفسه، ص : 130.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

و يشبه المعاني بالماء و اللفظ بالإناء الذي يحمله " فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب و الفضة و الصدف و الزجاج و الخزف، و الماء واحد من نفسه، و تختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد و المعاني واحدة في نفسها "[1] ، وهذه المسألة غير صحيحة تماما، لأن اللفظ يؤثر في تركيب المعنى و تشكيله، فاللفظ ليس إناء مجرد أو محايد إنما ثمة علاقة تداخل عميق بينهما تكشف عن تأثير أحدهما في الآخر.

فاللفظ والمعنى في الكلام الشعري خاصة هو حصيلة التجربة الشعرية الناضجة التي تؤلف الشعر، لذا إن اللفظ هنا ليس وعاء مجردا يحتضن التجربة بل يسهم إسهاما فاعلا في توجيه المعاني وصياغة الدلالات وإنتاج بلاغة الكلام بحيث لا يمكن الفصل بين اللفظ ومعناه الشعري ضمن أي معيار كان أبدا.

---

(1) نفسه ص130،131

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ثانيا: مفهوم المعنى واللفظ عند الجاحظ

أ/ مفهوم المعنى عند الجاحظ:

لقد أكد الجاحظ على أن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية وإلى ما جاء به القرآن من كلمات لا تنقد، لقد رجع الجاحظ إلى عدة مواضيع لأنها تشكل قاعدة ثابتة يجب اعتبارها والأخذ بها في نظامه هذا، فهو بعد أن ذكر كيف اضطر المتكلمون إلى إحداث ألفاظ لم تكن موجودة من قبل، قال: "إنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حيث عجزت الأسماء عن اتساع المعاني".

ويرى أن المعاني الواسعة لا نهاية لها لأنها تمثل جميع الكائنات الحية التي خلقها الله ثم وضعها في درجة ثانية من السماء التي نعبر عن هذه الكائنات، والجاحظ يصرح أنها عاجزة عن اتساع المعاني، كما صرح في موضوع آخر بأنها مقصورة وأخيرا الألفاظ التي تجيء بها لسد عجز الأسماء، وتكميل ما بها من نقيض [1].

ب/ مفهوم اللفظ عند الجاحظ:

يعتبر الجاحظ اللفظ من أرقى وسائل البيان ولما كانت للفظ أهمية كبيرة توسع فيه وبين كيف يكون مفردا أم مركبا، وأين تكون اللفظة في الكلام مقبولة وأين لا تكون؟، وهكذا وضع الأسس الأولى للبلاغة العربية وجعل اللفظ للسامع وهو كلام المطوق الذي يعتبره إشارة ودلالة.

---

(1) هيثم سرحان، إستراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزل، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2003، ص140.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ثالثا: ثنائية اللفظ والمعنى عند الجاحظ

اللفظ والمعنى من القضايا المهمة في النقد الأدبي، ركنان رئيسيان من أركان القصيدة، بل يعدها المحدثون ركنا واحدا، وقد شغل بها النقاد والبلاغيون القدامى كثيرا، فكانتا من أعقد القضايا النقدية قديما، وأكثر قضايا النقد اضطرابا على الرغم من عناية أولئك النقاد بها، وقد عرضوا لها الأدب عامة، غير أنها انعكست على الشعر فادخلها بغضهم في منهج القصيدة وكيفية نظمها[1]، وقد نشأت قصية اللفظ والمعنى في الأوساط الكلامية التي جعلت من القرآن الكريم محور لدراستها في إطار دفاعها عن القضايا الاعتيادية، وفي هذا المجال اتجه المعتزل إلى تفسير القرآن تفسيرا بيانيا بالاستناد إلى المجاز بوصفه وسيلة من وسائل التعبير، وفن من فنون القول له أمثاله في الشعر القديم وأكدوا على تجريد المعنى القرآني والابتعاد عن أشكاله الظاهرية، وما لها من دلالات محسوسة تتنافى مع الأصل العام للتوحيد، وانقسم النص القرآني نتيجة لذلك قسمة واضحة، فأصبح هناك معنى مجرد قائم بذاته، وصورة مجازية هي بمثابة أوجه الدلالة على المعنى، وقد يكون لهذه الصورة أثرها في إقناع المتلقي أو استمالته والمعنى القرآني قائم بذاته،ومستقل عنها وله هيكله الذهني المجرد الذي يمكن فصله عن كل ما يدل عليه من صورة مجازية[2]، وتعالج قضية اللفظ والمعنى بنية العمل الأدبي وصياغته الشكلية والمعنوية، ومنطلق قضية اللفظ والمعنى هو التساؤل عن سر إعجاز القرآن الكريم، هل هو في لفظه؟ أم في معناه؟ كذالك جاء التساؤل في العمل الأدبي هل تكمن ميزته في لفظه أي شكله، أم في معناه أي مضمونه؟ ويعتبر الجاحظ أول بياني أثار القضية، ودشن النقاش فيها، ويبدو أن الناس كانوا قبل أبي عثمان الجاحظ يصورون على النظر إلى المعنى قبل اللفظ، أي إلى المضمون قبل النية، أي إلى المدلول قبل الدال.

---

(1) حميد آدم أثو كلي، منهج النقد الأدبي عند العرب، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2004،ص69.

(2) عبد القادر هني، نظرية إبداع في النقد العربي القديم، دار الثقافة، الجزائر، د، 1999،ص40.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

على ذلك أنهم كانوا يشعرون الشعر ببيت واحد من كل شعره، فإذا فصلوا ودققوا فبيت واحد في كل قصيدة من قصائده، فكانوا يعدون مثل هذه الأبيات الجيدة في نظرهم أرقى ما جاءت به قريحة الشاعر، اسأميها بـــ (بيت القصيد)، وكتب التراث العربي شاهدة على ذلك[1]، لذا صار الجاحظ في هذا الموضوع منطقيا وبداية لكل من يريد الخوض فيها[2]، حيث يقول: المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتحيير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك... [3].

أطلق حكمه هذا على بيتين قالهما شاعر في حضرة أبي عمرو الشيباني عندما سمع يوم الجمعة بالمسجد قائلا يقول والجاحظ وأصحابه حول أبي عمرو:

لا تحسبن الموت موت البلى	**فإنمـــا ســـــؤال الرجـــــال**
كلاكمـــا مـــوت ولكـــن ذا	**أفضـــح من ذلك لـــذل الســـؤال**

فأمره من أحضره أدوات وقرطاسا حتى كتبها له، وقد عجب الجاحظ من سوء ذوق الشيباني وكيف ذهب إلى هذين البيتين الرديئين من الشاعر العربي، أن الأمر الذي زاد في تثبيت ثنائية اللفظ والمعنى، هو اتجاه بعض المتكلمين إلى ربط قضية الإعجاز القرآني بجانب النظم والصياغة، اتجاه بعضهم الآخر إلى ربطها بالمضمون[4]، ولم تكن قضية اللفظ والمعنى تكسب شهرتها لولا اتصالها بسر إعجاز القرآن[5]، فالجاحظ لم يتابع أستاذه النظام في قوله بالصرفة تفسيرا بالإعجاز وإنما وجد أن الإعجاز لا يفسر إلا عن طريق النظم، ومن آمن بأن النظم حقيقة برفع البيان إلى مستوى الإعجاز لم يعد قادرا على أن يتبنى نظرية تقديم المعنى على اللفظ، ومنها أن عصر الجاحظ كان يشهد حملة عنيفة يقوم بها الناقد لتبيان السرقة في المعاني بين الشعراء، ولا نستبعد أن يكون الجاحظ قد حاول الرد على التيار مرتين

---

(1) عبد المالك مرتاض، بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريعية أشجاب يمانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2003،ص03.

(2) ابتسام مرهون، ناصر الخلاوي، محاظرات في تاريخ النقد عند العرب جهينة للنشر والتوزيع، عمان، 2006،ص141.

(3) الجاحظ،الحيوان، ج2،ص142.

(4) الجاحظ،الحيوان، ج2،ص131.

(5) عبد القادر هني، المرجع نفسه، ص40.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

- ✓ مرة بأن يقرر أن فضيلة للشكل لأن المعاني قدر مشترك بين الناس جميعا.
- ✓ ومرة بأن لا يشغل نفسه بموضوع السرقات كما فعل معاصره، ولهذا فإن الجاحظ كان يحسن أن المعاني موجودة في كل مكان[1]، وفي الميدان الأدبي يعتبر الجاحظ أول من أثار جدلية اللفظ والمعنى في مقولته الشهيرة (والمعاني مطروحة في الطريق...)فقد أبدى فيها مفهوم لقضية اللفظ والمعنى، والذي تبين أنه لم يكن من أنصار اللفظ على المعنى، ولا من الذين عنوا بالصياغة والأسلوب فحسب، كما أنه عني بالنص الأدبي بكل ما يحمله من مكان عبر عنها بالألفاظ وأساليب وأوزان، فالنص الأدبي الجيد هو ما كانت أفكاره ومعانيه جيدة مقبولة في النفس، وكان أسلوبه جيدا وجميلا ومؤثرا وإذا انفرد بإحدى هاتين الميزتين دون الأخرى أصابه الخلل، وخرج عن إطار النجاح الفني[2].

أما عناصر الأدب الجيد فهي:

أ/ إقامة الوزن: أي اختيار الأوزان المناسبة للمعاني المطروحة.

ب/ تخير الألفاظ وسهولة المخرج: وهذا مبحث أفاض فيه الجاحظ، حيث ذكر من شروط الألفاظ الجيدة حسن اختيار الألفاظ لها سواء مطابقتها للمعاني أو في تصويرها لبيئة الشاعر أو حياته.

ج/ كثرة الماء وصحة الطبع: ويريد بهما بعد الشاعر عن الافتعال المصطنع، وقد أطلق على العرب تعبير كثرة الماء كناية عن الحيوية والجمال، وقد قرنه الجاحظ هنا بصحة الطبع ليجعله عنصرا من عناصر النص الأدبي الجيد، كما يتفنن الصانع في صيانته، والرسام والنساخ في اختيار مواد رسمه أو نسجه كذلك الشاعر يختار لنفسه الأسلوب الذي يحمل عناصر النجاح المتمثلة في المعاني، الصياغة والروح الشاعرية المناسبة الدالة على طبع شعري موات[3].

---

(1) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص98.

(2) ينظر الجاحظ،البيان والتبيين،ج1،ص1.

(3) ابتسام مرفوع،ناصر الحلاوي،المرجع نفسه، ص145.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لقد قارن الجاحظ هذه العناصر الثلاثة معا: إذا كان المعنى شريفا، واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه صنع في القلوب، صنع الغيث في التربة الكريمة ...[1].

يحسن القول فبلغ من استكرامه لذلك المعنى وفي اضطرابه أنه صار دليلا على سوء طبعه في الشعر[2]،يريد الجاحظ من الشاعر أن يرسم بوضوح وأن يصور بقوة، فهو يشبه الناقد النيي الذي يميل إلى رسم المصورين الكلاسيكيين ولا يرغب في رسم الصور الشعرية يجعل الجاحظ شديد النفرة منها، ويتضح عنده الميل إلى المضمون أكثر من الشكل.

ما معنى قول الجاحظ (المعاني مطروحة في الطريق)؟

أترى هذا حطى من قيمة المعنى الذي يجعل له الجرجاني في المقام الأول هنا ينقد الجرجاني بفهم دقيق إلى سر مشكلة طال حولها الأخذ والرد، فوجه رأي الجاحظ توجيها ملائما لما تعتق أن الجاحظ رمي إليه، فمصطلح معنى كما استعمله الجاحظ ذو دلالة دقيقة، فهو إنما يتحدث به عن الأدوات الأولية وتفسيرا لذلك يقارن الجاحظ بين الكلام ومادة الصانع فهو يضع من الذهب أو الفضة خاتما، فإذا أردت الحكم على صنعته وجودتها نظرت إلى الخاتم من حيث أنه خاتم، ولم تنظر إلى الفضة والذهب الذي صنع منه، فهذه المادة الأولية تشبه المعنى المطروح وليس فيها تفاضل إن شئت أن تحكم في جودة الصنعة نفسها، ولهذا قال الجاحظ بعد أن أورد راية في شيوع المعاني: إنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج...[3]،وإنما الذي دعا إليه الجاحظ وإضرابه إلى تبين هذا المذهب خوفهم من فكرة الإعجاز فلو أن الفضل كان قاصرا على تلك المادة الأولية التي سميت معنى بطل أن يكون للنظم فضل تتفاوت به المنازل، وإذا بطل ذلك فقد بطل أن يكون في الكلام معجز،... أي أصبح الإعجاز أن يحتوي الكلام على حكمه واستخراج معنى غريب أو شبه غريب نادر،

---

(1) الجاحظ،المرجع نفسه،ج1،ص82.

(2) أدونس،أحمد سعيد،المرجع نفسه،ص145.

(3) حميد آدم أثوني،المرجع نفسه، ص73.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وفي تسوية بين القرآن وأية مهارة ذهنية إنسانية[1]،وعلى أساس هذا التفسير يكون الناس الذين ظنوا أن المعنى في نظرية الجاحظ يشير إلى عدم التفاوت في العملية الفكرية القائمة وراء البناء الفني قوما مخطئين في تصويرهم، فهم قد أساؤوا فهم ما رمى إليه الجاحظ لأنه لم يتجاوز (المادة الأولية)التي تتولاها الراية للصياغة، فخلطوا بذلك بين تلك المادة الضرورية المشاعة، وبين الرؤية الفكرية التي تأسس وحدة كاملة بين اللفظ والمعنى تأسيسا متفاوتا في القدرة على التأثير فأرجعوا الفضيلة إلى اللفظ وحده[2].

يقول الجاحظ: إن متمعن النظر في علاقة التقابل بين الثوب الرفيع والآخر الوضيع يلحق أن القيمة والجمال مقبلات للقبح وللضعف، فكان القيمة والضعف منصرفان إلى المعنى، الجمال القبح منصرفا إلى اللفظ، إن فكرة الثمن سواء أكان درهما وثلثا أم آلافا موصولة بالمعنى ومدى ما يتوفر عليه من فائدة، أما جمال الهيئة وجدتها أو قبحها فموصولان باللفظ ومسالك الأداء التعبيري إذا خلا المعنى من القيمة انعدمت الفائدة، وإذا زالت الجمالية من اللفظ لم يعد له في النفس أثر[3]، وفي متابعتنا للنتائج التي تترتب على نظرية الجاحظ في غريزته الشعر وعرقيته، نصل إلى مسألتين هامتين:

الأولى تميزه ضمن الذين يتكلمون بلسان العرب بين العرب والمولودين.

والثانية تميزه بين العرب كأمة وغيرهم من الأمم الأخرى من ناحية، واللغة العربية وبقية اللغات من ناحية ثانية[4].

ويروي الجاحظ ما يوضح هذا الفرق على لسان إبراهيم بن هاني، ويقول: من تمام آلة الشعر أن يكون الشعر أعرابيا[5].

---

(1) الجاحظ،الحيوان،ج3،ص165.

(2) الجاحظ،البيان والتبين،ج1،ص162.

(3) أحمد الوردوني،قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب،دار الغرب الإسلامي،بيروت،2004،ص390.

(4) نفسه،ص391.

(5) ينظر، أودنيس،الثابت والمتحول،تأصيل الأصول،بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، جار العودة،بيروت،1977،ص49،48 .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ويقول الجاحظ كذلك مؤكدا هذا الفرق: ولم أجد في خطب السلف الطيب والإعراب الإقحاح ألفاظ مسخوطة ولا معاني مدخولة، ولا طباعا رديئا ولا مستكرها[1].

ليس غريبا في هذا المنظور أن يصل الجاحظ إلى القول أن: بلا إلا عرابي الخلص معنى الفصاحة التامة، وللفصاحة مجرى معين كما يعبر الجاحظ، فإن العتابي حيث زعم إن كل من أفهمك حاجته والمصروف من حقه، فهو بليغ، لم يعن أن كل من أفهمها من مشاعر المولودين والبلدين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهة، والمصرف من حقه، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان، فمن زعم أن البلاغة السامع يفهم معنى القائل،جعل الفصاحة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء، كله بيانا، وإنما على العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء، فالبلاغة ليست مجرد إفهام، وإنما الإيصال والإفهام، بمقتضى الفصاحة العربية وأصولها والفصاحة لغة لا فكر، أي لفظ لا معنى أو هي كما نقول اليوم شكل لا مضمون، ومن هنا يتميز الجاحظ بين اللفظ والمعنى، ويجهل الأهمية الأولى للفظ[2].

لم يفصل الجاحظ بين اللفظ والمعنى إلا ليؤكد قراءة اللغة العربية وتميزها، وكأنه أراد أن يقول اليوم أن الإنسان لا يميز بالمعاني التي يعيرها، بل يتميز باللغة التي يعبر، فالمعاني عامة مشتركة إما اللفظ فمقصور خاص، والقيمة الأخيرة لثقافة شعب ما، نتبع مما هو خاص مقصود عليه، لا مما هو على مشترك إذ لا سبيل إلى معرفة امتيازه، وتفرده الثقافتين، أي عبقريته الخاصة إلا بمعرفة الشيء الذي يفرده عن سواء، وهذا الشيء بالنسبة للعرب هو اللغة، أو بتحديد أدق الشعر.

---

(1) أودنيس،المرجع نفسه، ص51.

(2) ينظر أودنيس،الثابت والمتحول،تأصيل الأصول، بحث في الإتباع والإبداع عند العرب،دار العودة،بيروت،1977،ص52.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وانطلاقا من هذا الفصل بين اللفظ والمعنى، يؤكد الجاحظ القضايا التالية:

أولا: مشايعة المعاني، اولا نهابها، حتى إن الجاحظ يكاد أن يوحي بالقول أن المعاني ليست موضوع جدل فهي تشبه الهواء الذي يستنشقه الجميع ولذلك ليست المسألة أن نسأل ماذا قال الشاعر؟ بل أن نسأل كيف قال؟ أن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غيرها وأسماء المعاني(الألفاظ)مصورة معدومة، ومحصلة محدودة[1]، ولهذا فإن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، وعلى هذا ترتب نتيجتان

الأولى: ليس هناك أحد من الشعراء أحق بالمعنى من غيره إذ لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام،وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى كريم شريف، أو في بديع مخترع، إلا وكل ما جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإن لا يدع يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تتازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم، وأعارض أشعارهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه[2].

الثانية: هي أن المعاني ثابتة أبدا، صالحة أبدا كالألفاظ فليس في الأرض لفظ يسقط البتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن، وهذا يعين أنه لا عيب في ترداد المعاني وبعض الألفاظ.

ثانيا: المشاكلة بين المعاني وألفاظها، ولئن كانت المعاني منشاعة أو مبسوطة، فإن على الألفاظ أن تكون هي كذلك مبسوطة، وهكذا لا يحق للشاعر أن يهذب لفظه جدا وينقحه ويصفيه ويروقه حتى لا ينطق إلى بلب اللب، وبلفظ الذي قد حذف فضوله، وأسقط زوائده حتى عاد خالصا لا تشوب فيه، لأن الناس كلهم تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم[3].

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين،ج1،ص470.

(2) نفسه، ص471.

(3) الجاحظ،البيان والتبيين، ص472.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والمشكلة بين الألفاظ والمعاني، من ناحية المبدأ العام وتتضمن المشاكلة بين اللفظ والغرض الذي يحمله المعنى، فلكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال، وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك وداخل في باب المزاج والطيب، فاستعملت فيه الأعراب انقلبت من جهته، وإن كان في لفظه سحق وأبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أن يسير النفوس، يكربها ومن هنا كان الإعراب يفسد وهكذا نجد خلاصة رأي الجاحظ في النص الجيد بكونه يعبر عن معنى جميل شريف بألفاظ مؤلفة غير متنافرة، لقد انتصر الجاحظ لمذهبه الاعتزالي أين نظر إلى قضية اللفظ والمعنى ورد الإعجاز في القرآن الكريم لجانب اللفظ واهتمامه به، ولكن مع عدم إهمال المعنى وإغفاله، كذلك المعتزلة، فنجد العتابي يقول: الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها قدما أفسدت الصورة، وغيرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد موضع رجل، لتحولت الخلقة وتغيرت الحيلة.

فالجاحظ من أنصار الفئة التي لا ترتكز على المعنى ولكنها تهتم بالمقابل باللفظ وحده، فهو يعتبر رئيسيا لهذه الفئة: حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة محدودة، ومحصلة محدودة[1].

كما يوحي إلى أن الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما موزونا ولا منشورا إلا بظهور الصوت، فعلى ذلك يبني نظريته المعروفة: والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وصناعة وضرب من النسيج، وحسن من التصوير[2].

---

(1) مليكة حنان، إعجاز القرآن بيم مبادئ اللغة وأصول العقيدة،www.dimamalarb.com،ص40.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين،ج2،ص69،70.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فالجاحظ اهتم بالفصاحة اهتماما شديدا، فدراسة الألفاظ من أوسع ما وصل إلى العصر الحاضر من عهده، فقد تكلم عن ملائمة الألفاظ، وتماثلها، فرأى أن اللفظ لا ينبغي أن يكون عاما وساقطا وسوقيا، كذلك لا يجب أن يكون غريبا وحشيا، فتلك العناية باللفظ دعته إلى أن يقول: والمعاني مطروحة في الطريق.

إن الجاحظ قد ثمن النص الأدبي من خلال إثارة اللفظ على المعنى، فنقل النقد من الدراسات القرآنية إلى ميدان الدراسات الأدبية وبذلك عد أنه:

1-من أوائل الذين وضعوا مقياس اللفظ حينما تكلم عن تنافر الألفاظ.

2-فصل بين اللفظ والمعنى وجعل للألفاظ جهابذة عارفين وللمعاني نقاد في قوله: قال بعض جهابذة الألفاظ، ونقاد المعنى القائمة في صدور الناس[1]، المتمعن في قول الجاحظ والناقد المجيد الذي يفهم الآراء النقدية، يرى عكس ما ذهب إليه النقاد، فإذا ما أردنا أن نفسر ما قصد إليه الجاحظ الذي ينحاز إلى الألفاظ وحدها، ولا إلى المعاني وحدها، لن نقول أكثر مما قاله الناقد عبد القاهر الجرجاني الذي سبق المعاصرين في تأويله وتوضيحه بعد أن فهم الناس له قديما يقول: اعلم أنه لم كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يسري في العروق ويفسد مزاج البدن... وذلك أنهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساسا وبنوا على قاعدة، فقالوا أنه ليس المعنى واللفظ، ولا ثالث وأنه كان كذلك وجب إذا أحد الكلاميين فضيلة لا تكون لأخرى...

ولما أقروا في نفوسهم حملوا كلام العلماء فيما نسبوا في الفضيلة إلى اللفظ على ظاهرة وأبوا أن ينظروا في الأوصاف التي اتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ، مثل قولهم لفظ متمكن غير قلق ولا باب به موضوع[2].

---

(1) الجاحظ،الحيوان،ص70.

(2) عبد القادر الجرجاني، المرجع نفسه، ص142.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ولما لم يكن فهم الناس دقيقا لها ذهب إليه الجاحظ، كما كشف عبد القاهر كثرة أنصار اللفظ كثرة مفرطة به الجاحظ حتى قال ابن الشريف: أكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى...[1]، ولم يفصل الجاحظ بين قيمة المضمون والشكل أو بين اللفظ والمعنى، إذ لا يوجد الشكل مجرد ولا مضمون خارج نطاق الشكل بكل ما دعا إليه، هو إيجاد الشكل المثالي للمضمون ثم صياغة كل ذلك في أسلوب ممتاز وموسيقى مؤثرة، ولعل أوضح النموذج لذلك التصوير الفني الكامل لوصف الذباب عند عنترة ابن شداد قال: ما كان عنترة في صفة الذباب فإنه وصفه فأجاء وصفه فتحاشى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحمدنهم، وعرض له بعض المحدثين ممن كان.

نوادر المولودين، كما أن اللحن يفسر كلام الأعراب، لأن سامع ذلك الكلام، إنما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج، وتلك اللغة وتلك العادة، فإذا دخلت على الأمر الذي إنما اضحك بسحقه وبعض كلام العجمية التي فيه، حروف الإعراب والتحقيق الثقيل وحولته إلى صورة الألفاظ الإعراب الفصحاء، وأهل المروءة والنجابة، انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته[2].

وهذه المشاكلة النوعية بين اللفظ والغرض، تقترب بمشاكلة كمية بين أقدار المعاني وأقدار الألفاظ، وإنما على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المفردة البائتة بصورها وجهاتها تحتاجهم الألفاظ إلى أقل مما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة[3].

ثالثا: الشكلية أو الأسلوبية، وهي براعة الشاعر الخاصة، وفرادة الطريقة التي يعتبرها لكل قوم ألفاظ حظيت عندهم، وكذلك كل بليغ في الأرض بليغ، وصاحب الكلام منثور، وكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون، فلابد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعيانها ليديرها في كلامه، وإن كان واسع العلم، عزيز المعاني، كثير اللفظ، لكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تلزق بضاعتهم، إلا بعد أن كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعة والأنسجة التي يصل إليها الجاحظ هي لكل صناعة شكل[4].

---

(1) الجاحظ،المرجع نفسه،ص142.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ص473،474.

(3) الجاحظ، نفسه، ص52.

(4) احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص473.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ولعل كل ما يوضح هذه الشكلية التي يقوم بها الجاحظ مثلا يضربه فيشبه المعنى بالجارية، واللفظ بالثوب، فالجارية موجودة بقوة الحياة والواقع، وإنما الشأن والجهد في كيفية عرضها وإبرازها، صارت الألفاظ في معنى المعارض، وصارت المعاني في معنى الجواري، فالشكلية لا تعني التكلف والمبالغة والتعقيد، مما يطمس حسن المعاني، تماما كما تطمس الثياب المفرطة في تأنقها وبهرجتها، حسن الجارية أن الشكلية كما يفهمها الجاحظ ترادف الطبع، وأن يكون الشعراء مطبوعين يعني أن المعاني تأتيهم سهوا زهوا وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا، أي تتدفق عفوا بلا تكلف[1].

(1) نفسه، ص474.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

خاتمة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

خاتمـــــــة:

ولعل في كل ما قدمنا ما يصور شخصية الجاحظ الأدبية وخصائصه الفنية في كتاباته ومن المؤكد أن العربية لم تعرف كاتبا فرض نفسه على عصره والعصور التالية لما عرفت في الجاحظ الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بكلماته النادرة وما وصلها به من ذخائر الثقافات الأجنبية وما جسدها فيه من طويع عقله ومن جد وهزل ومن نقل لكل صور الحياة في مجتمعه، فقد كان الجاحظ عظيما بذاكرته الأسطورية وبعقله الذي جمع فأوعى، بل كان عظيما في تنظيمه وفوضاه في تشجيعه وتفريقه في هجوة وامتداحه في هزله وجده، وفي فلسفته ومن ثم يمكن أن نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها من بحثنا:

أولا: عاش الجاحظ معلما متعدما في تعليمه الأسلوب الجاد والكتابة العملية الرصينة ومستخدما أيضا الفكاهة والضحك، فهو يميل إلى خلط الجد والهزل، وبهذا التنوع أراد أن يخاطب كل الناس، وأن يخاطب الإنسان الواحد في كل حالاته بحيث يظل دوما مسيطرا على قارئه، كيفما كان هذا القارئ، فقد حرص الجاحظ على كسب القارئ إلى صفه في القصية التي وهب نفسه لها.

ثانيا: عاش الجاحظ الحرية بأرقى معانيها ومختلف أنواعها فكانت له حرية في العلم وحرية في الدين وحرية في اللغة وحرية في الأدب وحرية في السلوك، فمن الواجب علينا القول بوضوح أنه ليس هناك كاتب معاصر للجاحظ أو لاحق به يشبهه في روعة الأسلوب المتنوع وقوته مع التزامه الحرية التي تتجنب سعة علم المعاصرين،المعرفة في التدقيق فتنتقل دون تمهيد من الجد إلى الهزل أو من موضوع إلى آخر.

ثالثا: إن غرض الجاحظ من كتابه ومعالجته لقضية اللفظ والمعنى في كتاباته أو في أدبه ليس التسلية والمسامرة والترفيه عن القراء والسامعين فقط، بل غايته هو الإفادة والتعليم والتوجيه، فإن الجاحظ لم يكتب ما كتب إلا لإفادة عصره، وتوجيه أهل زمنه وتثقيف أمته والأجيال التي تأتي بعدها، فقد أصر على أن يكون معلما بعد أن فشل في مهنة التعليم، لدمامته وقبح منظره فيما رواه عن نفسه، من طلب الخليفة المتوكل له لتأديب بعض ولده، ثم صرفه إياه بعد ما رآه، فليس إقلالا من شأنه أوردنا هذا، ولكنه بالفعل كان صاحب رسالة وعاش بالفعل معلما لا بالمعنى الضيق للتعليم، ولكن بأوسع معاني هذه الكلمة وهذا هو سر ما اتسم به أسلوبه.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

رابعا: استطاع الجاحظ أن يلم بدراسة لقضية اللفظ والمعنى وإعطاءه مفهوما خاصا لكل واحد منهما والعلاقة بينهما فقد خدم في دراساته اللغة العربية بشكل كبير وكان له دور فعال في ذلك.

وأخيرا ما يمكن قوله أن المرء يستصحب النقص ولذا فإن كنا قد أصبنا فذلك ما نرجوه، وإن كنا قد أخفقنا نسأل التوجيه والرشاد، وفوق كل ذي علم عليم، والله من وراء القصد والحمد لله رب العالمين.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قائمة المصادر و المراجع

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قائمة المصادر والمراجع:

- بين مبادئ اللغة الجاحظ البيان والتبين ت ح. عبد السلام هارون، ط7، ج7، مكتبة الجرجاني للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1998.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.
- مليكة حنان، إعجاز القرآن وأصوله.
- ابن فارس الصاجي، في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها تحقق مصطفى الشويمي.
- الجاحظ البيان والتبين.
- الجاحظ، الحيوان.
- ابتسام مرهون، ناصر الخلاوي، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، جهينة للنشر والتوزيع، عمان 2006.
- احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب.
- أحمد الوردوني، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب، دار العرب الإسلامي.
- أودنيس، الثابت والمتحول، تأصيل الأصول، بحث في الإتباع والابتداع عند العرب، دار العودة، بيروت1977.
- جهينة للنشر والتوزيع، النقد عند العرب، عمان 2006.
- حميد آدم أثوني، منهج النقد الأدبي عند العرب، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان2004.
- عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم دار الثقافة، الجزائر 1999.
- عبد المالك مرتاض، نبذة الخطاب الشعري، دراسة تشريمة أشحاب يمانية، ديوان المطبوعات، جامعة الجزائر 2003.
- عبد القادر حسين، أثر النجاة في البحث البلاغي، دار النهضة مصر القاهرة.
- قصي الحسن، النقد الأدبي عند العرب واليونان معلمة وأعلامه.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

- مريم محمد جاسم المجمعي، نظرية الشـــعر عنـــد الجـــاحظ دار مجـــدلاوي للنشـــر والتوزيع، عمان، الأردن،2009،2010.
- هيثم سرحان، إستراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، دار الحوار والنشر والتوزيع، عمان 2004.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)